

تحليل الآية الأولى ((سورة أنزلناها وفرضناها وأنزلنا فيها آيات بيّنات لعلّكم تذكرون))
نستهل الخطوات الإجرائية لتحليل الآية المباركة بعرض معاني بعض المفردات التي نرى أنها بحاجة إلى بيان، ذلك للوقوف على المعنى العام للآية موضوع التحليل .. ومنها :
سورة : السورة في اصطلاح علماء الدراسات القرآنية هي (قطعة من القرآن الكريم معينة بمبدأ ونهاية لا يتغيران) ١٠

وسورة في لغة العرب : إسم للمنزلة الرفيعة أو الشريفة . وقيل هي مأخوذة من السور (سور المدينة)
فكما أن السور يحمي المدينة وأهلها من الاعتداءات الخارجية ، فإن هذه السورة بما فيها من أحكام ومضامين وفرائض وحدود فهي تحمي الإنسان وتحصّنه من الوقوع في المعاصي والمهالك ، وتمنعه من الانقياد وراء المغريات وشهوات النفس .
أنزلناها : الإنزال ، هو نقل الشيء من الأعلى إلى الأسفل . ويطلق العلو مجازا في الأمور المعنوية.

الآية : العلامة الظاهرة ، والدليل ، أو الحجّة والبرهان .
بيّنات : واضحات .
تذكرون : تتنبّهون أو تتعظون .
وباعتماد ما تقدم عرضه من معاني يمكن إيجاز المعنى العام للآية المباركة بأن الله تبارك وتعالى أنزل سورة جاءت مشتملة على جملة من الأحكام والفروض والطاعات ، وقد جعلها واجبة على المتعبدین مُلزِمة لهم. ذلك لأن الأخذ بها يعمل على تهذيب النفوس وتقويم الأخلاق وبناء المجتمعات
* وقد انتهينا من عرض المعنى العام للآية المباركة ، لنا أن نبين أوزان بعض مفرداتها ، وهي : سورة : فُعْلَةٌ / آية : فَعْلَةٌ و فَعْلَةٌ وأصلها (أَيْيَةٌ) وللاستزادة عن هذه المسألة يمكن الرجوع إلى كتاب ابن هشام (أوضح المسالك ، الجزء / ٤) .

ونحن نتناول الآية - موضوع الدرس - بالتحليل ، لنا أن نطرح بعض الأسئلة لنستثمرها في بيان كيفية معالجة النص المطلوب تحليله ، وهي :
س / لم قال الله جلّ شأنه ((سورة أنزلناها)) ولم يقل : أنزلنا سورة ؟

س / لم قال الله تبارك وتعالى ((أنزلناها)) ولم يقل : أنزلتها مثلا ، أو نزلتها ؟

س / ما العلة من تكرار جملة أنزلنا ؟

س / ما القيمة الدلالية لإقتران فعل الرجاء (لعل) بالفعل المضارع (تذكرون) ؟

سنحاول الإجابة - على وفق رؤيتنا القاصرة - عن الأسئلة المتقدم عرضها في أعلاه ، ونقول : إنما استُهلّت الآية المباركة بهذه الهندسة البنائية ((سورة أنزلناها)) ذلك لأن منشئ النص جلّ شأنه أراد إلفات عناية المتلقي إلى السورة بما فيها من أحكام وفروض وحدود وتشريعات لا إلى فعل التنزيل لعلّه يتنبّه إليها ويعمل بها - والله أعلم - .

أما فيما يتعلق بقوله تعالى ((أنزلناها)) فإن هذا الاستخدام اللغوي يقدم - كما يبدو لي - دالتين : الأولى ، إن الخطاب بصيغة الجمع فضلا عن كونه أسلوب من أساليب العرب فإنه يدل على التعظيم والتفخيم والتشريف وهو ما يتناسب وحقيقة المقام الإلهي . ولعل مصداق ذلك هو الإتيان بالضمير (نا) ثلاث مرات : (أنزلناها ، وفرضناها ، وأنزلنا)

وثانيهما ، أننا لو تأملنا عملية إنزال القرآن لوجدنا أنها قد تمت بالوساطة.. فالقرآن الكريم إنما وصل إلينا عن طريق النبي محمد (ص) والنبي تلقاه عن طريق الروح الأمين جبرائيل (ع) وجبرائيل تلقاه من الله تبارك وتعالى . ((وإنّه لتنزيل ربّ العالمين * نزل به الروح الأمين * على قلبك لتكون به من المنذرين * بلسان عربيّ مبين)) الشعراء/ ١٩٢-١٩٥ . فكأن إتيان الخطاب بصيغة الجمع فيه إشارة إلى كيفية التنزيل ، أعني تلك الوساطة المشار إليها - والله أعلم - .

أما عن علة اعتماد لفظة ((أنزلناها)) دون (نزلناها) فقد ذهب بعض الدارسين إلى أنه لا فرق بين اللفظتين ، وكلتيهما صحيحتين وهما من لغات العرب . يزداد على ذلك أن في هذا الاستخدام اللغوي إشارة مهمة - كما يذهب كثير من العلماء - مفادها التنبيه إلى كيفية نزول القرآن .. فقد أكد جلّ العلماء على أن القرآن الكريم نزل مرتين أو بطريقتين : فمرة نزل بجملة دفعه واحدة ومصداق ذلك قوله تعالى ((أنا أنزلناه في ليلة القدر)) القدر/ ١ . ومرة أخرى نزل مفرقا بحسب حاجة الأمة ووفقا لمشئة الله تعالى ، ومصداق ذلك قوله تعالى ((وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا)) الإسراء/ ١٠٦ .

وقد يكون من المفيد التنبيه على مسألة تكرار لفظة (أنزلنا) في الآية المباركة (موضوع المحاضرة) ولعل الذي وراء ذلك التكرار هو إبراز كمال العناية والاهتمام بهذه السورة ،

آخذين في الحسبان أن لفظة (سورة) جاءت نكرة ، وهي في هذا الموضع أفادت التشريف وعلو المنزلة - كما أرى - .

أما عن جواب السؤال الرابع ، فيما يتعلق بالقيمة الدلالية لاقتران فعل الرجاء (لعل) بالفعل المضارع (تذكرون) فنستهل الإجابة بالتذكير بأن القرآن الكريم استعمل - في الغالب - لفظة (لعل) لمعنيين: الأول.. للترجي، أي أن الشيء المُبتَغى مأمول تحقّقه. وعلى وفق هذا الفهم يكون معنى جملة (لعلكم تذكرون) : (رجاء أن تتبّهوا وتتّعظوا) .

والمعنى الثاني.. للتعليل وهو كثير جدا في القرآن . وقد فسّرت ب (كي) وعلى وفق هذا الفهم يكون معنى الجملة: (لأجل أن تتذكروا ، أو لكي تتذكروا) وكلا المعنيين جيد مقبول .

هذا من جانب، ومن جانب آخر أن الفعل المضارع يعطي أو يقدم - بفعل دلالة بنيته التركيبية - مدا زمنيا ، وفيضا دلاليا ، وهو في هذا الموضع يتوافق دلاليا - كما أرى - مع فعل الرجاء (لعل) والمراد من الآية المباركة .

بتعبير آخر، لما كان الفعل (لعل) يعطي معنى الرجاء لأمر مأمول يُرتجى تحقّقه مستقبلا ، والفعل المضارع يقدم - بفعل بنيته التركيبية - مدا زمنيا وفيضا دلاليا يتّسع أثره للزمن الآني والقادم ، فإن اقتران فعل الرجاء (لعل) مع الفعل المضارع (تذكرون) يحقق توافقا دلاليا مفاده: أن فعل التذكّر أمر مأمول ومرجو تحقّقه الآن ومستقبلا (والله أعلم واستغفر ربي من الخطأ والزلل) .

وقبل أن ننتهي من هذه الآية المباركة لا بأس من التنبيه على مسألة الإدغام المتحققة في لفظتي (أنزلناها) بإدغام حرف اللام مع حرف النون . مع الوقوف عند الأوجه الإعرابية ل (سورة) وهي :

سورة : مبتدأ لخبر محذوف تقديره هذه (هذه سورة) أو :

خبر لمبتدأ محذوف ، والتقدير فيما أوحينا إليك أو فيما يتلى عليك سورة. ومنهم من

قال : أن جملة (الزانية والزاني) هي الخبر.

أما سورة بالنصب (وهي قراءة شاذة) فتعرب على أنها مفعول به لفعل محذوف تقديره (أتْلُ) أو (أنزلنا سورة أنزلناها) .